مدخل إلى منهج البحث العلمي

تدرس منهجية البحث العلمي كمادة أساسية في الجامعات العراقية والعربية والجامعات العالمية كافة في التخصصات الإنسانية والاجتماعية، والعلمية والتقنية، تهدف منهجية البحث العلمي إلى جعل الطالب الجامعي منهجيا في تفكيره ومتخلصا من الجمود الفكري ومتوجها نحو الابداع والتجديد والنقد والتحليل المنظم والممنهج، إذ يجب على الطالب الجامعي أن يتجنب إصدار أية أحكام تعسفية أو الوقوع في السذاجة العلمية وهذا يعتمد على مدى تسلحه بالمنهجية العلمية وأساليب البحث العلمي وتقنياته وقد أصبح الهدف من تدريس هذه المادة لطلاب المراحل الجامعية المنتهية والدراسات العليا ينص على إعداد الطالب إعدادا تربويا يؤهلهم ليصبوا أساتذة وباحثين منهجيين ونوجههم بالتوجيه الصحيح ليتفرغوا للبحوث والدراسات العلمية.

لأن الهدف الأساسي من تعليم مادة منهج البحث أو بصورة أعم نقول إن الهدف الأساسي للتعليم الجامعي ليس هو تخريج مدرسين فقط وإنما ينص على تخريج باحثين أكاديميين يمتلكون الوسائل العلمية لإثراء المعرفة الإنسانية.

إذن البحث في معناه العام هو محاولة العثور على شيء معين، فالمحاولة هنا هادفة وعندما تقترن كلمة البحث بصفة العلمي هذا يدل على التعامل مع المعرفة بطريقة منظمة بهدف اكتشاف حقائق جديدة، أو التثبت من حقائق قديمة، مع رصد وتحليل العلاقات التي تربط بين المتغيرات والعناصر المختلفة أيا كان الموضوع الذي يتناوله البحث العلمي، في اللغة أو الادب أو النحو أو الصرف أو الفنون أو الحياة الاجتماعية أو الثقافة .....

لا يكون البحث علميا بالمعنى الصحيح إلاّ إذا كانت الدراسة موضوعه مجردة بعيدة عن المبالغة والتحيز، وأنجزت وفق أسس وأصول وقواعد، ومرت بخطوات ومراحل، بدأت بمشكلة وانتهت بحلّها، وهي قبل هذا وبعده إنجاز لعقل اتصف بالمرونة والافق الواسع.

وأيضا يعتبر البحث العلمي أساس فهم وتفسير الظواهر والمشكلات التي تواجه الإنسان وإيجاد حلول لها، ومن ثم يعد البحث وسيلة للبقاء والتكيف مع البيئة بما

تضـــمنته من عوامل وتحديات وغيرها، كما أن إحداث التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي للمجتمعات البشرية يرتبط ارتباط وثيقا بسلامة البحث العلمي من حيث الدقة والموضـوعية والكثافة (أسـلوبا ووسـيلة ومنهجا) فمن خلاله يمكن حل الكثير من المشاكل وفك الكثير من أسرار الظواهر وفهمها بشكل صحيح.

فالدافع الأســاســي من البحث العلمي للإنســان هو البحث عن وجود الحياة وتحقيق الرفاهية، فإذا أتيح لمجتمع من المجتمعات أن يتعلم أســس البحث العلمي ومبادئه يسود فيه الرخاء والتقدم الفكري ويفتح له آفاق وإمكانيات جديدة يستطيع من خلالها تحقيق التطور. ويهدف الانســان دائما من وراء البحث العلمي إلى فهم وتفســير الظواهر المحيطة بـه، من خلال إيجاد العلاقات والقوانين التي تحكم تلك الظواهر والاحداث المرتبطة بها، وإيجاد الطرق المناســبة لضــبطها، ويمثل البحث العلمي الوسيلة التي يمكن استخدامها للوصول الى حقائق الظواهر والاشياء.

لقد أســهم الكثير من الكتاب في تحديد مفهوم البحث العلمي، وبذلك اختلفت وتنوعت التعـاريف المرتبطـة بـه، بحســب اختلاف اجتهـادات هؤلاء الكتـاب والبـاحثين وانتماءاتهم الفكرية والعلمية.

نـأخذ بعض التعريفات التي قيلت في منهج البحث منها تعريف الدكتور علي جواد الطاهر المنهج عنده: هو الطريقة التي يســير عليها الدارس ليصــل إلى حقيقة في موضــوع من موضــوعات الأدب منذ العزم على الدراســة وتحديد الموضــوع حتى تقديمه للمشرف أو النقاد أو القراء.

وكذلك يعرفه الدكتور محمد الصـباغ بأنه: فن التنظيم الصـحيح لسـلسـة من الأفكار، إما من أجل الكشـف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين.

ويعرفه تروس: بانه الوســيلة التي تؤدي الى الوصــول الى حل المشــكلة محددة بالتقصي الشامل الدقيق لجميع الظواهر والبيانات التي يمكن التحقق منها،

وهناك تعريف اخر يقول: هو الوسـيلة التي يسـتخدمها الباحث بغرض فهم وتفسـير ظاهرة معينة أو مشـكلة محددة، يكون عن طريق الاسـتعلام والاسـتقصـاء المنظم والدقيق، أو الدراســة الفكرية الواعية التي يتبعها الباحث في معالجة الموضــوعات التي يقوم بدراستها الى ان يصل الى نتيجة معينة.